نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٥٧ — إنما سرقت مال ربى

في (رفع الإصر عن قضاة مصر) لابن حجر العسقلاني : حكي علي بن سعيد في تاريخه أن رجلا سرق قنديلا من الجامع العتيق ، فرفع للقاضي ، فرفعه للحاكم ، فقال له : ويلك ! سرقت فضة الجامع ؟

فقال : إنما سرقت مال ربى ، وأنا فقير ، ولي بنات جياع ، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا في الجامع .

فدمعت عيناه ، ورققه القاضي عليه ، فأمره بإحضار بناته ، فحضرن فأمر القاضي أن يجهزن بثلاثة آلاف دينار ، ويزوجن ، وأعاد القنديل إلى الجامع .

٩٥٨ — . . . فأمهلته إلى شوال

في (تتمة اليتيمة) لأبي منصور الثعالبي :

أنشدني الشيخ أبو بكر لأبي نصر كاتب ابن قحطان صاحب اليمن في محمد بن حوشب[1] ، ولم أسمع في معناه أظرف منه :

قيل لي : ما أفدت ممن إليه ... صرت تحدو قلائص الآمال ؟
قلت : جئناه في شهور شراف ... وهو فيها بسكه ذو اشتغال
والفتى لا يجود إلا على السكر (؟) فأمهلته إلى شوال

٩٥٩ — الطبيعة إذا وعرت طريقاً استغنت به عمن طرق ثانياً

شرح النهج لابن أبي الحديد : اعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان ، فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأب الأول — وذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك ، أما الفلاسفة فزعموا أن لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع ، وأما الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة فقوله ما ذكرناه ، ومن لم يكن منهم على رأي الفلاسفة ويقول بحدوث الأجسام لا يثبت آدم ، ويقول إن الله (تعالى) خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محركة لها بذاتها فلما تحركت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعة واحدة ، فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكية ، فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن وألطف ، والبعيد أبرد وأكثف ثم اختلطت العناصر ، وتكونت منها المركبات . ومما تكون منه

(١) وردت « حوشب » في الطبعة بالسين وهي بالشين .

وبسن هذا القانون أضحت لغة العرب سيدة اللغات في مصر وأمكنها أن تصرع أترابها في الميادين الرسمية .

* * *

بيد أن العربية ما فتئت تتعثر في المجتمعات وفي الأندية ودور المرح وبيوت ذوي الأحساب والأنساب . ولا يزال عليها أن تواصل كفاحها بغير هوادة لتثبت أقدامها وتعزز مرتبتها .

فإذا جلست في فندق من فنادق الحاضرة المصرية ، تناهت إلى أذنيك « بقايا » كلمات عربية مختلطة بلهجات أجنبية ، أو سمعت لغة فرنسية تتريث بين أوان وآخر لتزج بين ثناياها بكلمة عربية أو تعبير من تعبيرات الساعة .

وإذا زرت بعض البيوتات ، رأيت الفتيات العذارى يؤثرن لغة أجنبية على لغة البلد ، ويتراسلن بها في أحاديثهن في زهو وخيلاء .

وإذا قصدت بعض الشركات الأجنبية ذات النفوذ القوي أو التي يسندها نفوذ قوي ، رأيت اللغة العربية منزوية في ركن من الأركان لتفسح للغتين أو لثلاث من اللغات الأعجمية مجال المحادثة والمكاتبة والمحاسبة .

إن اللغة العربية تصارع صراعاً عنيفاً ، تتعرض حيناً للبوار في بعض الدور ، ولكنها سرعان ما تنهض من كبوتها ، وتحاول الأيام أن تنال من جاهها فتفلح آناً ولكنها لا تفتأ حتى تسترد عزها

صراع مستمر كصراع الليل والنهار ، ولكننا إذا استشففنا من تجارب الماضي مآل اللغة العربية في المستقبل ، بتنا مطمئنين إلى ظفرها في النهاية ، وهي نهاية قريبة بإذن الله ...

وديع فلسطين

نوع البشر كما يتكون الدود فى الفاكهة واللحم ، والبق[1] فى البطائح والمواضع العفنة ، ثم تكوّن بعض البشر من بعض بالتوالد ، وصار ذلك قانوناً مستمراً ، ونسى التخليق[2] الأول الذى كان بالتولد . ومن الممكن أن يكون بعض البشر فى بعض الأراضى القاصية مخلوقاً بالتولد ، وإنما انقطع بالتوالد لأن الطبيعة إذا وجدت طريقاً استغنت به عن طريق ثان .

٩٦٠ — أبو العتاهية . . .

الأغانى : محمد بن أبى العتاهية : قال : لما قال أبى فى عتبة :

كأن عُتّابة من حسنها ... دمية قس فتنت قسها

يا رب ، لو أنسيتنيها بما ... فى جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة ، ويبتذل ذكرها فى شعره بمثل هذا التهاون . وشنع عليه أيضاً بقوله :

إن المليك رآكِ أحسن خلقه ... ورأى جمالك

فحذا بقدرة نفسه ... حور الجنان على مثالك

وقال أيضاً : أيصوّر الحور على مثال امرأة آدمية ! والله لا يحتاج إلى مثال ، وأوقع له هذا على ألسنة العامة ، فلقى منهم بلاء .

٩٦١ — ... والد فالطفل مسلم

فى (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكى : أبو عبيد بن حربونة كان يرى أن الطفل إذ أسلمت أمه دون أبيه لا يتبعها فى الإسلام ، وإنما يتبع الأب ، وهو رأى شيخه أبى ثور ، فأسلمت امرأة ذمية ، ولها ولد طفل ، ولم يسلم الأب ، ومات ، فدس على أبى عبيد من يسأله ، فتفطن إلى أنه إن فعل ذلك (أى إن حكم ببقاء كفر الطفل تبعاً لأبيه) قامت عليه الغوغاء . ونصحه أبو بكر (الإمام الجليل ابن الحداد المصرى) وقال له : لا تعمل بهذا ، وإياك والخروج فيه عن مذهب الشافعى ، فإنك إن فعلت ذلك نالك الأذى من الخاصة والعامة . وعلم أنه إن لم يفعل خرج عن معتقده . فلما جلس أبو عبيد فى الجامع اجتمع الخلق بهذا السبب المبيَّت عليه بليل ، وقام رجل على سبيل الاحتساب ، وقال : أيد الله القاضى ! هذه المرأة أسلمت ولها هذا الطفل ، فيكون مسلماً أو على دين أبيه ؟ فقال : أين أبوه ؟ — وقد كان علم أنه مات — فقالوا : مات ، فقال : شاهدين يشهدان أنه مات نصرانياً وإلا فالطفل مسلم . فكثر الدعاء له والضجيج من العامة ، وستر علمه بفهمه . . .

٩٦٢ — من أحاديث الزهر

فى (الفصول والغايات) لأبى العلاء :

قالت البهارة لصاحبتها : ودعينى ، فالبارحة طللت ولم أنتعش ، ما أقربَ منى قدمَ واطىء أو كفَّ جان !

* * *

قالت الوردة لأختها : ما أشوقنى إلى الماء !

قالت : ورقك يهف ، والنسيم راكد ، ستروين ولو من أدمع كئيب . . .

٩٦٣ — إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فى (الموافقات) للشاطبى : حكى أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء له عن أبى الحسن بن المنتاب قال : كنت يوماً عند القاضى أبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، فقيل له : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجز على أهل القرآن ؟ فقال القاضى : قال الله (عز وجل) فى أهل التوراة « بما استحفظوا من كتاب الله » فوكل الحفظ إليهم ، فجاز التبديل عليهم . وقال فى القرآن : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فلم يجز التبديل عليهم . قال على (أبو الحسن ابن المنتاب) فمضيت إلى أبى عبد الله المحاملى فذكرت له الحكاية ، فقال : ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[1] .

---

(١) يعنى بالبق البعوض .

(٢) التخليق لفظة مولدة وردت فى تفسير الرازى ج ٢ ص ٣٤٧ ، وج ٣ ص ١٣ و ١٨٤ : وأعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٣١ ، وتفسير الألوسى ج ١ ص ١٩٢ .

(١) قال الشاطبى فى الموافقات : أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلا عن القراء الأكابر ... وبعث الله من عباده قراء أخذوا كتابه تلقياً من الصحابة ، وعلموه لمن يأتى بعدهم حرصاً على موافقة الجماعة فى تأليفه فى المصاحف حتى يتوافق الجميع على شىء واحد ، ولا يقع فى القرآن اختلاف من أحد من الناس .